



University of Tehran Press

Realism Fantasy in the Literature of the Palestinian Child

(Narratives: "I and Jumana," "Maryam's Words" and "Dreams of the Skinny Boy" by Mahmoud Shakir, for example)

Ezzat Molla Ebrahimi ¹, Zahra Fazeli ²

1. Corresponding Author, Department of Language and Literature, University of Tehran, Tehran, Iran. E-mail: mebrahim@ut.ac.ir

2. Department of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Tehran, Iran. E-mail: asemane139400@gmail.com

Article Info

Abstract

Article type:

Research Article

Article history:

Article history :

Received:

3, April, 2022

In Revised form:

17, June, 2022

Accepted:

31, October, 2022

Published online:

11, March, 2023

Children's literature is characterized by its orientation to a gradual age stage, as it writes language, style and logic that commensurate with the abilities and perceptions of children and does not exceed their age stages. Its beginnings appeared in Europe in the late Middle Ages. But this literature was delayed in its appearance in Palestine, and it was in the form of individual initiatives, where writers devoted themselves to writing national songs for children. It revolved around three axes: the national conflict, criticism of reality, and the restoration of history. Mahmoud Shukair is considered one of the most prominent writers affiliated with realism, especially when the local conditions in Palestinian society matured, which led to the dominance of the realist trend in the Palestinian novel. His writing became an objective extension of the real-life story, in its connection with the Palestinian child's concerns and suffering. Some of his novels were a reality full of creativity, such as "I and Jumana," "Maryam's Words" and "Dreams of the Skinny Boy". The third form in the stories is "fantasy," which is represented in the way the writer seeks to stimulate and stimulate the imagination of the child and is embodied in the child's dream of transcending the time and spatial limits... to fly into a new reality. We have come to the conclusion that his fictional production depicts reality, and conveys it faithfully, to expose it and then to change it with his new means, such as fantasy and symbol. This is what distinguishes Shukair in his narrative construction. We have sensed solutions and proposals that call for changing the reality; this in itself is positive in the narrative construction, and is in harmony with the realists' positions, values and calls to criticize and change reality.

Keywords:

Palestinian children's literature, Mahmoud Shukair, documentary realism, symbol, fantasy.

Cite this The Author(s): Ebrahimi, E., M; Fazeli, Z., 2023: Realism Fantasy in the Literature of the Palestinian Child (Narratives: "I and Jumana," "Maryam's Words" and "Dreams of the Skinny Boy" by Mahmoud Shakir, for example): Journal of Adab-e-Arabi (Arabic Literature-Scientific) Vol. 14, No. 4, Winter, - Serial No.34- (133-151).

DOI: 10.22059/jalit.2022.332902.612468



Published by: University of Tehran Press

فانتازیا في أدب الطفل الفلسطيني؛ دراسة في أنماطه وسياقه

(روایات «أنا وجمانة»، «كلام مريم»، «أحلام الفتى النحيل» لمحمود شقير نموذجاً)

عزت ملا ابراهيمي^١، زهراء فاضلي^٢

mebrahim@ut.ac.ir

١. الكاتب المسنول قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران. البريد الإلكتروني:

asemane139400@gmail.com

٢. قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران. البريد الإلكتروني:

الملخص

معلومات المقالة

شهد أدب الطفل الفلسطيني المعاصر تطورات كثيرة، وتغيّرات عديدة، نالت الشكل والمضمون، وانقلبت على أنماط السرد التقليدية، وأطره الثابتة القائمة على أحادية الصوت، والوصفية الزائدة، وقد وصل إلى تبتّي بنية سردية جديدة، تنقلب على الأطر الثابتة، وتكسر منطقها السكوني الرتيب. ومن الظواهر اللافتة والمضامين المستبدّة بأغلب فضاءات الرواية الطفلية الفلسطينية، تأتي ظاهرة الفانتازيا لتشغل الحيز الأكبر من تلك الفضاءات، حيث لم يكتف الراوي بتجاوز الواقع عن طريق خلق عالم آخر موازٍ له، بل ينقلب على هذا الواقع بتصوير كلّ ما لا يمكن أن يقع فيه، من أحداث عجابية مثيرة. ويعد محمود شقير من أبرز الأدباء المنتهين بالواقعية، خاصة عندما فضحت الظروف المحليّة في المجتمع الفلسطيني مما أدى إلى سيطرة الاتجاه الواقعي في الرواية الفلسطينية. أصبحت كتابته امتداداً موضوعياً لتأصيل القصة الواقعية، في اتصالها بهوموم الطفل الفلسطيني ومعاناته، فكانت بعض رواياته واقعاً مفعماً بالإبداع مثل روايات "أنا وجمانة" و"كلام مريم" و"أحلام الفتى النحيل". أما الشكل الآخر في القصص الواقعية، فهو "الفانتازيا" التي تتمثّل في الطريقة التي يسعى بها الكاتب إلى تحفيز وإثارة الخيال لدى الطفل ويتجسد في حلم الطفل في تخطّي الحدود الزمنية والمكانية، ليحلّق إلى واقع جديد. فتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي - التحليلي للكشف عن أهم مظاهر "الفانتازيا" في أعمال محمود شقير، وقد وصلنا إلى أنّ نتاجه القصصي يصوّر الواقع، وينقله بأمانة، ليعرّيه ومن ثمّ لتغييره بوسائله الجديدة مثل الفانتازيا وهذا هو ما تميّز به شقير في بنائه القصصي، وتلمّسنا حلولاً وطروحات تدعو إلى تغيير الواقع، وهذا في حدّ ذاته إيجابي في البناء القصصي، ويتناغم مع مواقف الواقعيين وقيمتهم ودعواتهم لنقد الواقع وتغييره.

نوع المقال:

بحث علمي

تاريخ الاستلام:

۱۴۰۱/۰۱/۱۴

تاريخ المراجعة:

۱۴۰۱/۰۳/۲۷

تاريخ القبول:

۱۴۰۱/۰۸/۰۹

يوم الاصدار:

۱۴۰۱/۱۲/۲۰

الكلمات الرئيسية: الفانتازيا، محمود شقير، الواقعية التسجيلية، الرمز، أدب الطفل الفلسطيني.

استناد: ملا ابراهيمي، عزت؛ فاضلي، زهراء، ۱۴۰۱. فانتازيا في أدب الطفل الفلسطيني؛ دراسة في أنماطه وسياقه (روایات «أنا وجمانة»، «كلام مريم»، «أحلام الفتى النحيل» لمحمود شقير نموذجاً): الأدب العربي، السنة ۱۴، العدد ۴، شتاء - عدد متوالي ۳۴- (۱۳۳-۱۵۱). DOI: 10.22059/jalit.2022.332902.612468.



١. المقدمة

أدب الطفل هو مجموع آليات مستخدمة في تخصيص البنى لهذا الأدب، والكتابة للطفل تذهب لتؤسس نماذج أدبية تنتمي للمعنى الفني واللغوي والأسلوبي إلى مفهوم أدب الأطفال الذي يقوم على مجموع أساليب أدبية معروفة ومفهومة كما هي في أدب الكبار كالشعر والقصة والمسرحية والرواية والحكاية. لكن اللغة في هذه الكتابة تتطلب التدرج اللغوي حسب مراحل الطفولة، وبتعبير آخر لكل مرحلة من مراحل الطفولة لغتها وأساليبها الخاصة؛ لغة الطفولة المبكرة هي غير لغة الطفولة المتوسطة والمتأخرة.

لا مرأ في القول: إن أدب الأطفال شأنه شأن بقية الأجناس الأدبية، مرّ بعصور وأحقاب ضاربة في القدم واجتاز البقاع ليبحث عن موضع له في واحة الأدب، سواء أكان في الأدب العربي أم في الآداب العالمية كلها. فهو وليد النهضة الأوروبية، غدا يتبلور في عالمنا، ويأخذ دوره الحقيقي من أواخر القرن التاسع عشر، في ضوء منهج الأدب الأوروبي، عندما بدأت إرهاصات رياح التأثير الثقافي الوافدة من الغرب، لقد أثارت عوامل النهضة الأوروبية، دوافع الاهتمام والعناية بأدب الطفل في العالم العربي فبدأ ظهوره في مصر زمن محمد علي عن طريق الترجمة نتيجة للاختلاط بالغرب، أما في فلسطين فظهر على شكل مبادرات فردية غير منظمة، حيث انبرى عدد من الشعراء والأدباء إلى كتابة الأناشيد الوطنية والمدرسية للأطفال، وكانت هذه الأناشيد تستقي من واقع الشعب الفلسطيني وموروثه الشعبي الزاخر. وتدور حول ثلاثة محاور: الصراع الوطني، ونقد الواقع، واستعادة التاريخ.

وبمرور الوقت كانت هناك بعض المبادرات الروائية تستقطب جماهير الأطفال في فلسطين قبل نكبة ١٩٤٨م، وفي أعقاب تلك الكارثة، وتحت وطأة الاجتياح الإسرائيلي أنتجت تلك الظروف الشاذة والنادرة أدباء بارزين أصبحوا مصدر وحي لجيل كامل، ومن أهم هؤلاء، الأديب محمود شقير (١)، الذي أصبح الواقع بكل معالمه مصدراً ثراً لانتاجه الأدبي والإبداعي، فقد تأثر بالواقعية، خصوصاً أنها كانت ملائمة للواقع الفلسطيني، ولكثير من أحوال المجتمع العربي الخارج من الاستعمار الأوروبي، ذي الطبيعة الاستغلالية البرجوازية، وكانت واقعيته صورة ملتزمة بالرؤية الاشتراكية.

يمتلك محمود شقير بنية قصصية مميّزة، تُظهر خبرته في النسيج والصياغة، ومراسه الطويل في الكتابة، جامعاً عدداً من التقنيات السردية المهمة (ملا إبراهيم وفلاح، ١٣٩٩: ٧٦). وحاول الموازنة بين المضمون والشكل، واجتهد في التنوع والتمرد على التنميط المألوف في الواقعية. كما أنّه تأثر بالواقعية السحرية المرتبطة بأدب أمريكا اللاتينية، التي تجمع بين الرؤية الواقعية والأساليب

الجديدة التي تتضمن ميلا إلى العجائبية والغرائبية. وقد تفاعل معها وظهرت كتاباته متميزة في هذا الاتجاه المختلف من الواقعية. ونهل الأديب الفلسطيني محمود شقير من هذه البنايع الثرة واستقى محاوره الفكرية ليعبر عن واقع الطفل الفلسطيني المؤلم، سواء واقعه الخارجي الذي يحيط به أو واقعه النفسي وما يختلج في ذاته من مشاعر وأحاسيس ورؤى، كل ذلك لتعميق تجربته الإبداعية والإنسانية والشعورية، والتأثير في جماهير الأطفال.

١-١. أسئلة البحث

والهدف وراء هذا المقال، هو الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي أهم مظاهر الواقعية في أدب محمود شقير للأطفال؟
- كيف وظّف الكاتب أشكال الفانتازيا لإثراء واقعيته؟

٢-١. منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي للكشف عن أهم مظاهر «الفانتازيا» في أعمال محمود شقير، وترصد والواقعية الفانتازية في روايات «أنا وجمانة» و«كلام مريم» و«أحلام الفتى النحيل». وتسعى إلى معرفة الوسائل الفنية التي اعتمدها الكاتب في أدبه الفانتازي، مترافقا مع تحليل المحتوى واستنباط النتائج من خلال دراسة النماذج المستخرجة من نصوص قصصه.

٣-١. الدراسات السابقة

كتبت عدّة دراسات عن محمود شقير وأعماله القصصية، إلا أنّ موضوع «أشكال الواقعية الفانتازية في أدب محمود شقير» لم يحظ بدراسة الباحثين ولم يدخل إلى حيّز التداول في هذه البحوث. أمّا إذا أردنا أن نأتي بدراسات تناولت أدب الكاتب محمود شقير فيمكننا أن نذكر:

- «الفن القصصي عند محمود شقير»، سامي عبدالله السرخي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠٠٧؛ تناول الباحث في هذه الدراسة تجربة محمود شقير القصصية منذ ستينات القرن العشرين حتى عام ٢٠٠٥، وتأثيره على ترسيخ القصة القصيرة جدا في الوسط العربي، وعالج الواقع الفلسطيني والقضايا الإنسانية والاجتماعية والوطنية وصراع الكاتب بين طبقات البرجوازية والفقيرة، ووضح كيفية انتقال شقير من القصة السردية إلى كتابة القصة القصيرة جداً.
- «تحليل العناصر القصصية في قصة «مقعد رونالدو» للقاص الفلسطيني محمود شقير»، حريجي وآخرون، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ١٤، ٢٠١٠؛ يهدف هذا البحث إلى تحليل العناصر الفنية في قصة «مقعد رونالدو»، وتسليط الضوء على قصص محمود

شقيير القصيرة، وتناولوا تجليات الاستبداد الصهيوني والاستكبار الغربي في آثار محمود شقيير، وجدلية الأدب والسياسة في قصصه القصيرة.

- «دراسة العناصر الفنية في قصص محمود شقيير للأطفال (قصص الحاجز، مهنة الديك، الملوك الصغار نموذجاً)»، مهدي أكبري، رسالة ماجستير، جامعة بو علي سينا، ٢٠١٤؛ تناول الباحث العناصر الفنيّة في عدّة قصص، وألقى الضوء على انسجام تلك العناصر مع شخصية الطفل، والقضايا الاجتماعية ذات المضمون التعليمي الأخلاقي.

- «بنية القصة القصيرة العربية المعاصرة (دراسة قصة طقوس للمرأة الشقية لمحمود شقيير)»، نسرين كاظم زادة، مجلة لسان ميبين، ٢٠١٤؛ تعتقد الكاتبة أن هذه المجموعة القصصية تشمل لحظات حسّاسة ومتأملّة في حياة المرأة وتجاربها القاسية، وتسعى في سبيل رقيّ منزلة المرأة في المجتمع. وتتطرق إلى التقنيات القصصية والخصائص الأسلوبية البارزة، كالشخصية، والمفارقة، والانزياح، والتكرار، والتكثيف، والوصف، والتشخيص، وغيرها.

- «الطفل في أعمال محمود شقيير القصصية»، زهور علي محمد يوسف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٦؛ عنيت هذه الدراسة بالأبعاد الطفولية ومضامينها وأساليبها في قصص محمود شقيير، وتطرّقت إلى الأبعاد النفسية والاجتماعية والوطنية والتربوية والسياسية. وبيّنت أن هذه الأبعاد كانت صدى لما يدور في كوامن الكاتب وهواجسه، وأظهرت الطفل ورؤيته الطفولية للأرض، والشهادة، والوطن، والاحتلال، والبيئة الاجتماعية. ورصدت الباحثة التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أعمال محمود شقيير القصصية، فأظهرت الجوانب الجمالية فيها منها: اللغة، والأسلوب، والصورة.

- «صورة المرأة في الرواية الفلسطينية روايتا «فرس العائلة» و«مديح لנסاء العائلة» لمحمود شقيير نموذجاً»، آيات مأمون بوريني، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، ٢٠١٧؛ كشفت الكاتبة عن تعدّد صورة المرأة التي تتراوح بين الإيجابية والسلبية، تجسّدت فيها صورة الأم المناضلة التي تقدّم أبناءها في سبيل الدفاع عن الوطن، وظهر بشكل واضح تأثير التعليم والثقافة على وعيها النضالي، وتمثّلت صورة المرأة المتمردة التي تقف لتحقيق كرامتها، وتكدّ في سبيل تأمين قوت أبنائها.

- «سخرية الذات في مجموعة قصص «صورة شاكير» القصيرة لمحمود شقيير»، سيدة أكرم رخشندة نيا، مجلة معرفة، العراق، ٢٠١٨؛ تطرّقت الكاتبة إلى جانب السخرية الذاتية في هذه المجموعة القصصية، فنرى أنها سخرية مباشرة من الجلال بذاته، وأنها سخرية الواقع في تفاصيل حياة الناس البسطاء ويوميّاتهم.

- «الشكل والمضمون في رواية الفتیان، دراسة في قصص محمود شقير»، حسين عبيدالله العزازمة، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ٢٠١٩؛ تطرق الباحث إلى ملامح البنية السردية، في روايات محمود شقير، وتحديد عناصر العمل السردى من حدث وشخصية وسرد وحوار ولغة وأسلوب وزمان ومكان.

- «المفارقة والسخرية في القصة القصيرة جداً (محمود شقير نموذجاً)»، إيمان محمد علي زيادة، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، ٢٠١٩؛ تناولت الدراسة عنصري المفارقة والسخرية في سبع مجموعات في القصة القصيرة جداً عند شقير، وتوصلت إلى غلبة توظيف عنصر المفارقة على عنصر السخرية في تلك المجموعات، فالمفارقة في رأيها غالباً ما تكون ضرباً من السخرية المكتومة، بينما السخرية يستخدمها من المحتل والسياسيين الذين يستغلون قضية فلسطين لمصالحهم الشخصية.

- «تجليات المقاومة في أدب الطفل الفلسطيني (أعمال محمود شقير نموذجاً)»، عزت ملا إبراهيمي، وزهراء فاضلي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد ٢٧، ٢٠٢٠؛ يهدف هذا البحث إلى أهم تجليات المقاومة في أدب شقير ودعوته في مقاطع غير قليلة إلى الكفاح والمقاومة من أجل طرد العدو المحتل من أرضهم الأم واعتقاده الراسخ بالالتزام بمنهج المقاومة السلمية في هذا السبيل دون إراقة دم واحدة، كما أنه يكثر من تلوين حبكة القصصي بألوان التكانف والمساواة بين الولد والبنت ويجسد روح التأخي بين المسلمين والمسيحيين، ويبيّن لنا ضرورة الانسجام والتواشج لبناء وطن واحد مهما كانت قومياته ودياناته.

- «هوية القصة القصيرة عند محمود شقير»، أماني سليمان داود، جامعة البترا، الأردن، ٢٠٢٠؛ يسعى هذا البحث إلى رصد الملامح القصصية لمحمود شقير، ويرصد الملامح الفنية والمضمونية التي شكّلت هويةً خاصّة تميز بها شقير في نتاجه الأدبي.

- «جمالية الخطاب الساخر وأساليبه في مجموعة "صورة شاكيراً" للقاصّ الفلسطيني المعاصر محمود شقير»، محمد جواد بور عابد، وأحمد عادل ساكي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ١، سنة ٢٠٢٠؛ تطرّق الباحثان إلى دراسة أسلوبية لمجموعة «صورة شاكيراً» القصصية، وكشف مستويات الأسلوب الساخر وقيمتها الفنيّة في هذه المجموعة الأدبية وفهم الأساليب التي لجأ إليها شقير في بنيته القصصية.

٢. كليات البحث

٢-١. مفهوم الفانتازيا: لغة وإصطلاحاً

للفانتازيا (Fantastique) أسماء عدة كالعجائبي، والغرائبي، والسحري، والأدب الاستيهامي. تنحدر كلمة الفانتازيا من الأصل اللاتيني Phantasticus، والذي ينحدر بدوره من الأصل الإغريقي Phatastikos، ومعناه الخيالي والمتوهم، ويرتبط بالصفة المشككة من الكلمة الإغريقية (بن نوار، ٢٠١٣: ٩-١٠).

دلّ في القرن السادس عشر كل ما هو «شارد الذهن» وخارق له ومبني على الخيال والوهم، وفي القرن السابع عشر على كل ما يخرج عن إطار الواقع، وكل ما هو مستبعد وشاذ وخارق. أما البحث الإثنولوجي فيشير إلى أن هذه الكلمة ظهرت في فرنسا في القرن الرابع عشر، ومن معانيها الذي لا وجود له سوى في عالم الخيال أو الأوهام.

أما في الإصطلاح فتدلّ كلمة Fantastique على اللاواقعي، والغامض الذي يرمي إليه (الصورة، والتجلي، والرؤية)، وقد اكتسبت هذه اللفظة عدة مدلولات على مرّ العصور، واختلف معناها باختلاف المجالات التي أولت بها اهتماماً؛ فهي في علم النفس المدرسي، صورة حساسة، بينما في علم النفس الحديث صورة عقلية وتشكيل الخيال، في حين تعد سيناريو خيالياً لرغبة مصدرها اللاوعي في التحليل النفسي (باويس، ١٩٨٧: ١٦٤). ويعدّ الخيال أو الوهم من الركائز الأساسية لوجودها.

يرى تودوروف أنّ الفانتازيا جنساً أدبياً مستقلاً كأنه بصدد الحديث عن رواية أو ملحمة أو غيرها من الأجناس بامتياز، للرؤية اعتبارات منهجية بحيث يريد الناقد أن يضيف ويصنّف مستجيباً لقناعته البنيوية هذه هي التي يتموضع العجائبي بالنسبة لها. ويقول إيرين بيسير إنّ القصد الأدبي الفانتاستيكي هو الطبع قصدتنا تضي يضطلع بمزج اللاواقعية بواقعية ثانية فيصبح الإلهام فانتاستيكيّاً بتركيب احتمالين خارجيين الأول عقلي تجريبي (قانون فيزيائي) والذي يماثل التحفيز الواقعي، والآخر عقلي تجريدي (ميتولوجي)، والذي ينقل اللاواقع إلى مستوى فوق الطبيعي، كما نلاحظ تركيزه على مركزين هاميين وإن اختلفت التعابير الدالة عليه بقوله عنه مزج واقعية بواقعية ثانية (علام، ٢٠١٠: ٢٨).

ظهرت الفانتازيا في الآداب الأوروبية بوصفها جنساً أدبياً تحديداً في إنجلترا وألمانيا، كردّة فعل على الإفراط في العقلانية خلال القرن ١٨، بملازمة النمو الاقتصادي والتقدّم العلمي وضرورة البحث عن أشكال مغايرة تكون امتداداً وانقطاعاً في آن عن الحكاية السحرية الخارقة (سالمي، ٢٠١٤: ١٧).

يرتكز الأدب الفانتازي على التخيل الذي يفسح المجال لخلق صور حسية، وفكرية مختلفة عن الواقع، لكنّها في الوقت ذاته تعبّر عن الواقع الذي نشأت فيه، لذ فهو يقترب من الذاكرة التي تسير من الواقعي باتجاه المتخيّل لتؤكد المفارقة وتجسد التناقض. ختاماً، نستنتج مما سبق، يصعب طبيعة الفانتازيا، فقد تضاربت آراء الباحثين الغربيين، وكلّ منهم يقدّم تعريفاً خاصاً، مثلاً يقول جورج جون: «تستهدف الفانتازيا القارئ- المستمع، تبهره وتحتم عليه البحث عن سبب حدوث ظاهرة ما، لا يملك أحد القدرة على تبريرها، وحتى إذا كان التفسير العقلي ممكناً، فالقارئ- المستمع لن يكون بالضرورة خارج دائرة الارتياح والمخاوف» (١٩٩٠: ٦٠).

وفي هذا المنحى، فإنّ الفانتازيا أدبٌ يقوم على ما فوق الطبيعي في إطار الواقعي المحكي، أو تجسيد أحداث غامضة وغير مفسّرة، بإمكاننا ان ندركها ونتقبلها من الجانب النظري ضمن مضمون واضح للقارئ، يشبه العجيب لكنّه مختلف.

٢-٢. الفانتازيا في أدب الطفل

يزخر أدب الطفل بالفانتازيا، وهو محبّب وممتع للأطفال، ويعدّ كتاب «ألف ليلة وليلة» في طبيعة الكتب التي رصدت الحكايات ذات العنصر الفانتازي وحكايات الجن والخوارق، ولما كانت قصصها شعبية، وكان أدب الأطفال لا يزال ناشئاً وليداً في الأمم الغربية، فقد استعان كثير من مؤلفي قصص الأطفال في تأليفهم بما في «ألف ليلة وليلة» من أدب قريب المنال متّجه إلى البساطة التي هي من أخص مميزات أدب الأطفال.

ويضيق بنا المقام إذا حاولنا أن نحصي قصص الأطفال التي استقيت من «ألف ليلة وليلة» مباشرة والتي لا يكاد يجهلها الطفل، فمثلاً قصة «علاء الدين والمصباح» وقصة «علي بابا والأربعين حرامياً» وقصة «السندباد البحري»، وقصة «الأميرة الصغيرة»، كل هذه أصبحت جزءاً من ثقافة الأطفال في أوروبا والعالم بعد ظهور التراجم الكثيرة لألف ليلة وليلة (الحديدي، ١٩٨٢: ١٣٩).

٢-٣. أثر الفانتازيا على الأطفال

إنّ الروايات ذات الخيال الفانتازي تجعل الاطفال مقبلين عليها، ويتشوقون لقراءتها وسماعها، ولا يستطيع أحد في عصرنا الحديث أن يفكر في طفل وحكاية دون أن يفكر في قصص الجن والحكايات الخرافية. ترى أهي عاده سيئة من العادات التي خلّفتها البدائية الأولى؟ أن أنّها رواسب من تفكير العصور القديمة ومعتقداتها؟ أم أنّ هذه الحكايات تستطيع أن تبرر علمياً شهرتها وذيوها بين الأطفال، وأن تثبت أنّ حب الأطفال وشغفهم بها لهي نتائج تربوية مؤكدة حقيقة؟ وهل يمكن ان نزعّم أنّها قصص تلاءم الطفل وتصلح أن نقدّمها إليه؟ نعم إنّ حكايات الجنيات التي استطاعت

عبر هذه القرون الطويلة أن تحتفظ بحب الأطفال بها وان يشتد ولعهم بها في عصور مختلفة التطور والحضارة، لا بدّ أنّها تحمل في جوهرها من عناصر الحياة ما يجعلها قادرة على تلبية حاجات الطفولة (السعيد، ٢٠٢٠: ٧٨٤؛ الحديدي، ١٩٨٢: ١٤٧).

تخصب القصص الفانتازية مخيلة الطفل وتنميها، لأنّ طابع الإدهاش، وغرائبية الأحداث الأسطورية، وقدرات أبطالها الخارقة، وسير الزمن فيها قد يجعل القارئ يفترض بأنّ لها دوراً أساسياً في إثراء مخيلة الطفل وتنميتها، وإن كنا لا نغض الطرف عن هذا التأثير لكنّ هذا الخيال يتعد بالطفل عن الواقع المعيش في جزر خيالية يحلم بها في خارج إطار هذا الواقع، بل ويفقده الحلم الذي هو أساس التخيل.

إنّ مهمة هذه القصص ليس إيصال المعلومات إلى الأطفال وحسب، بل اشباع مخيلاتهم، ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة، لذا تعدّ تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والمرونة أحد أهداف هذه القصص (الهيبي، ١٩٧٧: ١٩٨).

والحكايات الخيالية أو الفانتازية تلاءم أطفال عصرنا عصر الأقمار الصناعية وتلبي الكثير من احتياجات الطفل الخيالية والعاطفية في عالم هيمنت عليه المادية، كما كانت بالنسبة لأطفال العصور السابقة منذ بدء الحياة.

ولو لم يكن هناك من دليل سوى أن الأطفال يحبونها ويؤثرونها على كلّ شيء، لكان في ذلك الكفاية وأكثر من الكفاية، فذلك لا يجعلنا نتجاهل الحقيقة التي تؤكد أنّها تفيدهم من طرق شتى، ومن ذلك قدرتها العليا على عرض الحق في جماله والصدق في بهائه من خلال ثوب من التصوّر والخيال. وذلك هو الطريق الذي اتخذه جنس الأطفال تجاه الحكمة والتي تسلكه الفطرة الغريزية لكلّ طفل ميراثاً من براءة الطفولة واستجابتها الفطرية للحقّ والصدق (الحديدي، ١٩٨٢: ١٤٨). وبهذا يكون الخيال الفانتازي إيجابياً فاعلاً في حياة الطفل بالرغم ما يحتويه من مظاهر السحر والخيال.

٣. ثنائية الخيال والواقع في قصص محمود شقير

رأينا إنّ الواقعية من المصطلحات التي تتعدّد أشكالها وأنماطها، ويمكن استخدامها بأشكال مختلفة، إلا أنّها في رأي الكثير من النقاد تشمل «كلمة الحقيقة التي تجعل الجميع متفقين» (عبدالواحد، ١٩٨٣: ٥٣).

يرى دينياويّه بأنّ: «الحقيقة هي كل شيء يمكن تصديقه، فهي الرسم الصحيح للأشياء» (المصدر نفسه: ١٩٧)، الأمر الذي يمتّ بصلّة للجذور اللغوية للواقعية التي اشتقت من الكلمة اللاتينية «شيء»، وبالتالي فإنّ ذلك المعنى نشأ من اللجوء إلى الحقيقة الواضحة في العالم الخارجي، ويستخدم هالي ليفين الكلمة الفرنسية «شيئية» كصيغة بديلة (المصدر نفسه: ٧٨)، في

المقابل لا ينبغي لنا أن نتبنى القول «إن الخيال يشكل نقيض ذلك كله»، فبعض المدارس النقدية مثل مدرسة كونستانس الألمانية تسعى إلى حلّ التقابل الضدي بين الخيال والحقيقة عن طريق إيجاد علاقة جدلية بينهما تحت مظلة (الثيمة)، أي تأويل الخيال الأدبي على أنه أفق للحقيقة التاريخية، وأن العالم الحقيقي هو أفق العوالم الخيالية (الرويلي، ٢٠٠٢: ٢٨٥)، بل إنّ العلاقة الداخلية بين الواقع والخيال تشكّل بالضرورة أساس شخصية الأدب، حتى وإن كانت هذه العلاقة تحمل ظلالاً أدبياً تتسم بالسيطرة ومحاولة التحرّر من هذه السيطرة؛ فالخيال يحاكي الواقع ويقلّده من خلال آليات تسعى إلى تحرير هذا الواقع، ومن ثمّ تجاوزه والتخلّص من هيمنته (المصدر نفسه: ٣٣٥).

في أدب الطفل أصبحت العلاقة التي تربط الخيال بالواقع، بؤرة اهتمام الأديب، ففي هذه العلاقة نجد أنفسنا أمام حركة صيرورة مستمرة بين الخيال والواقع؛ فالخيال في عالم الأطفال يترك أثراً على الواقع ويتأثر به، وهو حال الأدب عموماً، بيد أن هذه الثنائية تحمل أبعاداً خاصة في أدب الأطفال.

بناء على التحليل النفسي لفرويد، فإنّ الأحلام هي محاولة لإشباع رغبات أساسية متخيّلة، والرغبة تكون كذلك بسبب ما يحول بينها وبين الإشباع من عوائق مختلفة (تحريم ديني، أو حظر اجتماعي، وما إلى ذلك)، ولهذا فالرغبة الحبيسة تستقرّ في مملكة اللاوعي من عقل الإنسان عموماً، ولكنها تعدّ لنفسها متنفساً وتشبع نفسها خيالياً من خلال صيغ محرّفة (المصدر نفسه: ٣٣٣). ولأن التحليل النفسي في النقد والأدب ارتكز على المؤلف وحسب، فإنّ التطوّرات الحديثة أكّدت على أهمية حالة القارئ النفسية، وتأثره بما يقرؤه، وعندما يكون هذا القارئ طفلاً، فإنه يكتشف في الأدب هويته الخاصة به، ويتعرّف على رغباته ودوافعه وذاتيته؛ غاية القصة المقدّمة للطفل إذا هي إيجاد متعة الإشباع لرغبات لم يتمّ إشباعها، وكلّما كانت العلاقة بين القارئ الطفل والنص علاقة نشطة ومتبادلة، فإن كل طفل سيجلب إلى النص الذي يقرؤه تجربته الشخصية ونموّه العاطفي، مما يحقّق وظيفة علاجية مهمة للطفل تجعله قادراً حين ينغمس في القراءة على رؤية رغباته في صورة ناعمة وحميدة في تجارب الآخرين (السعيد، ٢٠٢٠: ٧٧٩؛ الرويلي، ٢٠٠٢: ٣٣٥).

فالقصاص إذن تمهّد للطفل فرصة تكوين هويته الذاتية حين يتخذ العمل الأدبي بطريقة يرمز فيها إلى نفسه، ومن ثمّ يستنسخ هذه النفس ويعيد بناءها، وهو يلقي باهتماماته ورغباته على النص السرد في الوقت ذاته الذي ينمي فيه هذا النص اهتمامات ورغبات معينة؛ فالتفاعل حينها يكون عملية جدلية متبادلة ومستمرة من القارئ الطفل إلى النص السرد، ومن النص السرد إلى القارئ الطفل.

ومن نافلة القول أن لدى الطفل رغبة مستمرة في امتلاك عالم غير قابل للامتلاك؛ فإذا كانت الواقعية تفرض على الطفل أن يمثل قواعد ومعايير وضعها المجتمع لأنها تمثل الصحيح، وتدخل ضمن ما يستطيع الطفل أن يمتلكه داخل البيئة التي تحتضنه، فإنّ الخيال يجسّد الخروج من هذا الامتثال لمعايير المجتمع، وهو الخروج الذي يقتضي حريةً يصعب الوصول إليها في مملكة الواقع، بينما يسهل الحصول عليها وتحقيقها في مملكة الخيال.

الطفل الذي يحلم ويتخيّل هو طفل أقرب إلى الإبداع من ذلك الطفل الذي يحبس نفسه في عالم الواقع؛ فقد يتحوّل الخيال في عالم الطفل إلى إبداع. ولنا في الأديب محمود شقير خير مثال على ذلك، فقد شكل إبعاده عن الوطن من قبل العدو عاملاً هاماً من عوامل بحثه عن حرية الوطن في أدبه، وتجسيد هذا الوطن على الصعيد الأدبي، فجاءت معظم رواياته كحلّم عزيز من أحلام الطفولة لدى شقير؛ فلقد كان لرؤية الاحتلال والنفي و حرمان الطفل من طفولته أثر عميق في نفسه، دفعه للبحث أولاً عن الوطن ثم لصناعة وطن محرر من التقاليد البالية التي تميّز بين الولد وال بنت ، بعد أن يس من العثور عليه؛ ثمّ كان لرؤية منظر الفداء والتفاني من أجل تحرير الوطن في الأفلام السينمائية والعروض المسرحية أثر على تجربته؛ فتحليل هذه التجربة يظهر كيف كانت الأشياء تتفاعل داخل شقير الطفل، فقد تلقّف الفكرة من عالم السينما والمسرحية، بكل ما في هذا العالم من إثارة، وأدخلها في واقعه، ثمّ اختزلها ليخرجها في عمل فني متميز.

نخلص مما سبق إلى أن رواد أدب الطفل، انطلقوا لبيان المضمون الإنساني وتسريب الإنسانيه إلى نفوس الأطفال ويتبدى لنا ذلك في تشظي قصه «أنا وجمانة» يتبلور موقف واضح ضد الصراعات الداخليه بين أبناء الشعب الواحد، التفاهم والانسجام مع أصدقائهم المسيحيين والمسلمين في صداقه حميمة وانشغال البطل جواد وأخته جمانه ومصطفى بترحيل الإسرائيليين من فلسطين إلى أوغندا (ملابراهيمي وفاضلى، ٢٠٢٠: ٣٤٣). فرواية «أنا وجمانة» تعدّ من القصص الحافلة باستدعاء الشخصيات التراثية، سواء في فلك الموروث التاريخي، أو الموروث الأدبي، أو الموروث الشعبي واقعيةً كان أم غير واقعية (المصدر نفسه: ٣٣٩).

في «أنا وجمانة» جعل الطفل الجزائري مصطفى يبحث عن حلّ ولو أنه خيالي لتحرير فلسطين «سيجلبّ النعاس إلى عيون الإسرائيليين جميعاً، وسينامُ الإسرائيليون أربعاً وعشرين ساعة، وسيحلّمون أحلاماً سعيدة. مصطفى أكّد لي أن مسحوقه يشتمل على مادة تتسبّب في رؤية الأحلام السعيدة، قال لي بالحرف الواحد، إنه معني بأن يحلم الإسرائيليون أحلاماً سعيدة. وأثناء ذلك سيقوم مصطفى بنقلهم إلى أوغندا، وهناك في أوغندا، يقيمون دولتهم كما كان مقرراً منذ البداية، أي

قبل أن يتوجهوا إلى فلسطين وقيموا دولتهم فيها. مصطفى يقول إنه بذلك يرفع الأذى عن الشعب الفلسطيني، ويصبح الإسرائيليون في الوقت نفسه شعباً إفريقيًا» (شقير، ٢٠١٨: ٦).

وكثيراً ما هرب الطفل جواد ومصطفى من واقعتيهما إلى المسحوق السحري الذي يحرّر الشعب الفلسطيني من الاحتلال، لكنّ في نهاية المطاف ينكشف المقنّع رقم ١، الذي أرسله الأمريكيان لمصطفى وهذا المقنّع «كائنٌ غريبُ الشكل، له أجنحةٌ ستة، ولديه قدرةٌ على التشكّل بالطريقة التي يريد، مرةً تراه في حجم فيل، ومرةً أخرى تراه في حجم بعوضة... بعد أن علموا بانكشاف المقنّع رقم ١، أرسلوا المقنّع رقم ٢، وله أرجلٌ عشرة. وبعد انكشاف المقنّع ذي الأرجل العشرة، أرسلوا المقنّع رقم ٣، وله قرون سبعة. وبعد انكشاف المقنّع ذي القرون السبعة، أرسلوا المقنّع رقم ٤، ولها رقبَةٌ طويلة، طويلةٌ على نحوٍ لا مثيلَ له» (المصدر نفسه: ٤٥).

لا شكّ في أن أدب الطفل كتبه أدباء تأثروا بقصص وحكايات كثيرة خيالية، وقد تأثر محمود شقير بالكاتبة أستريد ليندغرين، التي تركت أثراً واضحاً في نفسه، ومنحته خبرة جديدة في الكتابة، و كيفية تفهّم مشاعر الأطفال، ويشير شقير إلى ذلك بقوله: «وأعترف أن قدرات أستريد ليندغرين على التحليق في عالم الخيال، قد بهرتني وعلمتني أن الخيال في القصة هو أهم من الحقيقة على حد رأي أحد الحكماء. حفزتني أستريد ليندغرين على إيلاء الخيال في الكتابة للأطفال والفتيات والفتيان، اهتماماً كبيراً، وعدم التردد في الوصول في التخيل إلى أقصى الحدود. ولربما ظهر هذا واضحاً في روايتي «أنا وجمانة» التي كتبتها للفتيات والفتيان العام ٢٠٠١» (شقير، ٢٠١٩: ١٢٨).

وما جذب أستريد ليندغرين إلى شقير هو تحرّرها من سطوة السائد والمألوف والتقيّد بالضوابط السلوكية التي يوليها اهتماماً بالغاً في قصصه، فقد كان في الوهلة الأولى يركّز اهتمامه على توجيه رسائل تربية للأطفال، لكنّ ليندغرين لم تكن معنية بذلك، بل كانت تصبّ اهتمامها على كتابة قصص جميلة منمّقة، تجسّد فيها نزعات الطفل الدفينة ورغباته المقموعة، وتعبّر عن حركة الصيرورة المستمرة لدى الطفل وتحفّزها وتنميتها، وكانت معنية بكتابة أدب خلاق لا بصياغة دروس في التربية. وهي بمجملها تتمّ التحوّلاً فيها على نحو ساحر جذّاب بعيداً عن المنطق، بطريقة تنقل الطفل من مكانه إلى مكان آخر.

جاء كلام شقير ردّاً على كلّ من يفترض أن إغراق الطفل في الخيال يبّد طاقاته الواقعية، فلا ضير من هذا الخيال الذي يجلب المرح والمتعة، وهو خيال يفتن الطفل ويجعله يحلّق في عالم جديد غير عالمه، بل إنّ حرمان الطفل من الخيال هو خسارة فادحة لثقافته الأدبية، ويعدّ حرماناً كبيراً من مادة مهمة قد ترسم صورة لمستقبل الإنسان، وتلعب دوراً بارزاً في مصيره.

وتمثل قصة «أحلام الفتى النحيل» نموذجاً متفرداً في إيضاح ثنائية الخيال والواقع، بطل هذه القصة «مهند» يوصف بأنه كثير الأحلام بالفتيات، في فترة مراهقته وفي الأحلام يحقق الطفل خروجاً مثالياً عالياً عن كل ما قد يُوَطر حركته وإرادته.

كان مهند يعيش مع أبيه وأمه في القرية وفي المدرسة تعرّف على عزيزة فصارت تغزو أحلامه، تروح وتجيء، ويرى نفسه يركض في سهل فسيح، والبنيت تركض معه والأشجار على أطراف السهل ترقبهما مثل الأمهات، يسبقها حيناً وتسبقه حيناً آخر، ويراهما تسقط على الأرض، تتوجّع، ينظر إلى وجهها فيعرف أنها عزيزة، وعندما أخرجوا عزيزة من المدرسة، صارت تتكرّر هذه الأحلام عند مهند وتتسلل إليه عزيزة في أحلامه.

بهذه الرغبات المقموعة التي جسّدها شقير في شخصية الفتى مهند في أحلامه التي هي أقصى حدّ للخيال، نستطيع ان نلمس سعياً حثيثاً وراء خيال يشكّل لهذا الطفل مهند الذي يعيش في بيئة قروية مغلقة المتنفّس والوعد الجميل بإمكانية الوصول إلى عزيزة، بل العيش تحت حماية هذه الأمانة التي اختلطت بالواقع وتخلّصت من هيمنته لتصبح هي الواقع والحقيقة في آن واحد.

وعندما لم يستطع مهند نسيان عزيزة انتقل إلى المدينة كي يكمل دراسته هناك. لكن في المدينة تعرّف إلى «نادية» فصار طيف نادية يزوره في منامه، ويهمس في أذنه: «لا تضحكي، أمي وأبي نائمان في الغرفة المجاورة، وقد يستيقظان» (شقير، ٢٠١٠: ٤٤). ثم يتخيّل بأنه يذهب إلى بيت نادية، ويتخيّل أسماء عائلتها. واللافت في هذه الأثناء أن مهند في صورته وتصرفاته يخالف أطر المجتمع القروي المغلق الذي عاش فيه، كما لم نعهده في القصص التقليدية المقدّمة للطفل، وبهذا يتعد عمّا يمكن أن يقال عنه شخصية نمطية، فخيال ورغبات مهند في فترة مراهقته جاءت لتكسر هذا التميّط، وي طرح بدلاً منه شخصية ممتلئة بالرغبات والأفعال غير المتوقعة، وهو ما يدخل في باب الإثارة الأسلوبية التي تعرّز عنصري التشويق والتفاعل لدى الطفل سينجذب بالضرورة إلى مهند بتصرفاته اللامعقولة.

هذه الرواية تنحاز إلى الخيال، وهذا ما يصادف القارئ للوهلة الأولى حين يطالع عنوان «أحلام الفتى النحيل» بما يحمله من إشعار أن هذه الأحلام هي تلك الأماني التي تحقّق للطفل ما يشاء من حرية بمعزل عن قيود المجتمع. ثم إن الأحلام كما ذكرنا آنفاً وسيلة لإشباع رغبات أساسية متخيّلة والرغبات تكون بسبب ما يحول بينها وبين الإشباع من عوائق مختلفة، كالحظر الاجتماعي والتحرّيم الديني... وبذلك تستقر الرغبة المقموعة في ساحة اللاوعي من عقل الطفل ليشبع تلك الرغبات من خلال الأحلام التي هي أساس التخيل.

وتحيطه بهالة من الفتنة والإثارة والجمال، بما يتيحه عالم الأحلام من فرصة التحلل من قيود المجتمع والمعتقدات الدينية والانغماس في عالم حرّ يجعل الطفل قادراً على ان يمتلك كل ما يحلم به، ونستطيع أن نتلمّس هذه الوجهة في الحرية والانطلاق من خلال إجابات مهند التي كان يردّ بها على نفسه مثل قوله:

«أقنّع نفسي وأنا أحلم، بأنني أحلم وأنّ أمي وأبي ليسا هنا في منطقة الحلم (المصدر نفسه: ٤٤).

«- مرّقتُ التعهد، ولم أشأ أن أحرم نفسي من الحنان الذي وجدته في بيت خالتي جورجيت. إذ لا يعقل أن أحرم نفسي منه لمجرد أن يلاحظ أبي، أو أن تلاحظ أمي، أن طباعي تغيّرت» (المصدر نفسه: ٥١).

- «نادية تضحك وتقترب منّي دون استئذان، وأنا أبدو حريصاً على العهد. بعد لحظة، أكتشف أنّني غير صادق، وأنّ لديّ رغبة في الاقتراب منها. قلت: اقترب قليلاً، فهذا ليس بالإثم الكبير» (المصدر نفسه: ٤٤).

يتوافق الخيال في هذه الرواية مع حركة ملموسة، فإذا كان الواقع يضع قيوده على الطفل في دائرة محدودة، فإنّ الخيال يخرج من هذه الدائرة ويحرّره وينطلق به إلى عالم متجدّد جميل.

٣-١. البطولة والمغامرة

يتماهى الطفل مع أبطال الرواية، ويتمنى أن يلعب دورا المنقذ والمخلص؛ لذا لا يملك سوى أن يندهبس ويعجب بالأدوار البطولية في أكثر من مشهد داخل قصص محمود شقير.

- «وكنتُ أرى نفسي بطلاً مفتول العضلات، قادراً على استخدام قبضة يدي لإذلال الخصوم وإلحاق الهزيمة بهم» (المصدر نفسه: ٣٤).

- «أن أغني لعبد الحليم وأنا مثل بطل في المصارعة. أثناء الغناء» (المصدر نفسه: ٦٠).

- «جمانة متعلقة بالبطلة الجزائرية التي سُجنتْ وعُدّبتْ دفاعاً عن حرية بلادها» (شقير، ٢٠١٨: ٩).

- «أحتملُ التعذيب بشجاعة، ولن أدلي بأية اعترافات تُلحقُ الضررَ بالمقاومة» (المصدر نفسه: ٩).

- «حاتم ابن عمي، كم أحترمه وأتمنى أن أكون شجاعاً مثله!» (المصدر نفسه: ١١).

- «كان مشهدُ البنت وهي تعترضُ الجنود كي تحمي الولد حاضراً في ذهني. كم أعجبتني! وتمنيتُ لو أنّني أصبحُ ممثلةً مثلها، لو أنّني أقوم بالدور نفسه الذي تؤدّيه: أعترضُ الجنود وأخلص الولد من بين أيديهم وأحميه» (شقير، ٢٠١٣: ٤).

- «حاول أن يدفع أبي بذراعيه القويتين. صدّه أبي، وتحدهاه. ثم وقع الصدام» (المصدر نفسه: ٨٠).

إن مشاهد المغامرات والبطولة قد تخلق في الطفل حالة من التفاعل والإعجاب، يمكننا أن نلاحظها بسهولة عند القارئ الطفل.

٣-٢. القوة السردية والإبداع

هذا السرد المتوالي الذي تقوم به الشخصيات، يحتاج إلى طفل غير عادي، أي طفل قادر على رؤية الواقع الذي يشاهده رؤية جديدة، فكأن كل الأطفال العاديين، على أعينهم غشاوة أوجدتها العادات والتقاليد السائدة والأوضاع الاجتماعية، ومن ثمّ كانت نظرتهم إلى الأشياء عادية لا رؤية جديدة فيها، أما مصطفى فيتمتع بقدر من الحرية لا تتوفر للطفل العادي، وبقدر أكبر من الخيال كي يستطيع أن يكسر به الكثير من القيود المألوفة؛ لذلك قلنا ان الأطفال العاديين في روايات شقير ينظرون إلى حكاية مصطفى ومخططاته لترحيل الإسرائيليين بوساطة المسحوق السحري بدهشة وعجب، وتثار عليهم احساسيس من يعلم بالشيء لأول مرة، فكّل شيء يبدو أمامهم جديداً، مما يضيف روحاً جديدةً، أو فضاءً جديداً ممتعاً. وهذا يفسح المجال للطفل كي يرى وينتبه للأشياء بطريقة تخلو من الرتابة، أو بعبارة أخرى: بطريقة مختلفة عمّا يراها الآخرون.

ولا يملك القارئ إلا أن يعجب ويندهش بحكايات مصطفى التي يرويها بطريقة مثيرة، وهي إذا ما أردنا توصيفها، مجموعة من الصور المتخيّلة التي إذا ضمنا بعضها إلى بعض نستطيع أن نلاحظ جانباً واعياً يحقّق وحدة حيوية تكمن وراء الجزئيات.

ولنا في هذا الأمر المثال الآتي:

تبدأ إحدى المشاهد بمقنع أرسله الأميركيان ليكشف خطط مصطفى:

- «المُقنَع رقم ١، وهو كائنٌ غريبُ الشكل، له أجنحةٌ ستة» (شقير، ٢٠١٨: ٤٥).

- «ولديه (المقنَع) قدرةٌ على التشكُّل بالطريقة التي يريدها، مرّةً تراه في حجم فيل، ومرّةً أخرى تراه في حجم بعوضة» (المصدر نفسه: ٤٥).

- «له قرون سبعة، ورقبةٌ طويلة» (المصدر نفسه: ٤٦).

- «قبضتُ على رقبتها فلم أجد بين يديّ سوى هباء، تحولتُ رقبةُ المقنعة الجاسوسة، بسرعة خارقة إلى هباء» (المصدر نفسه: ٤٦).

...الخ هذه الحكاية، التي تبدو في المرّة الأولى كمجموعة صور مفكّكة، سوى أنّها تتحرّك من جزئية إلى أخرى دون أن يكون أيّ رابط منطقي بينهما.

وتأسيساً على ما سبق فإنّ الطفل ينغمس في هذه الروايات ويرى رغباته المقموعة فيها في صور مختلفة ومن خلال تجارب الشخصيات الروائية، غاية روايات شقير في نهاية المطاف فتح المسار الاتصالي بين الوعي واللاوعي؛ كي تحقّق القراءة للطفل مهمتها العلاجية، وكي تصبح شكلاً من أشكال تحليل الذات، ويجعل هذه الذات تسفو بالسرد الأدبي.

نتائج البحث

- وبعد هذه الرحلة مع أدب محمود شقير، جدير بنا أن نصل إلى نتائج هذا البحث وأهم مخرجاته:
- أن أدب الطفل يقوم على الخصائص الفنية والأسلوبية واللغوية، وآلية الكتابة فيه يجب أن تتناسب مع لغة الطفل بحيث تتدرج حسب مراحل طفولته إذ لكل مرحلة من مراحل الطفولة لغتها وأساليبها الخاصة. فلغة الطفولة المبكرة غير لغة الطفولة المتوسطة والمتأخرة.
 - نشأ التيار الواقعي في فلسطين ضمن ظروف خاصة قبل أن يتأثر به العرب ويصبح مصدراً للإنتاج الإبداعي في العصر الحديث، وهناك بواعث أدت إلى إنضاج الظروف المحليّة في المجتمع الفلسطيني مما أدى إلى سيطرة الاتجاه الواقعي في الرواية الفلسطينية. وقد كان هذا الأمر من أثر الحوادث التي ألمّت بالشعب الفلسطيني طيلة منتصف القرن الماضي، فكانت هذه الأحداث والظروف السياسية، لا تترك أثراً للرومانسية في الأدب، إنّما تفرض على الأدب الواقعية الإيجابية في هذه الأحداث. واستخدامها لمصلحة الوطن. وفي خضم هذا التفاعل بين الأديب الفلسطيني محمود شقير وواقعه المعاش، وتفاعله مع قضية وجود الإنسان الفلسطيني في المكان والتهويد وتغييب الهوية واحتلال الأرض، ولأن محمود شقير ابن مجتمعه، أصبحت هموم أطفال شعبه وآلامهم من موضوعاته الفاعلة وبنات أفكاره.
 - عبّر محمود شقير في رواياته الثلاث "أحلام الفتى النحيل" و"كلام مريم" و"أنا وجمانة" وبقية أعماله الأدبية، عن الواقع الفلسطيني، وتصوير واقع الطفل الفلسطيني ومأساته، ووقف إلى جانب الفقراء والمعدمين، وبدأ منافحاً مدافعاً عن الحقّ الفلسطيني في الحرية والحياة.
 - الفانتازيا مفهوم غربي حديث ارتبط ظهوره في الوهلة الأولى بالرواية الغربية، ثم انتقل إلى النقد العربي حيث لقي صدى ورواجاً. فإذا عجز النقاد الغرب عن الوصول إلى مفهوم جامع ومانع للفانتازيا، فإنّ النقاد العرب عجزوا كذلك عن ترجمة المصطلح وتبني رؤية واضحة له.
 - من جماليات واقعية شقير في أدب الطفل، اهتمامه بالخيال وأثره في مخيلة الطفل الذي يحلم في عالم جديد، فجذّل الخيال بالواقع، واهتم بالفانتازيا لرسم هذا الواقع. وتعدّ رواية «أحلام الفتى النحيل» و«أنا وجمانة» خير نموذج لثنائية الخيال والواقع.
 - محمود شقير علامة بارزة في خارطة أدب الطفل الفلسطيني، أرسى كثيراً من قواعده وعمل على إثرائه وتجديده، وإضافة الكثير إلى خصائصه، كان واقعياً اشتراكياً إلا أنه أضاف إلى هذه الواقعية الكثير من الوسائل الفنية مثل الفانتازيا والرمز لبناء جيل جديد يدرك واقعه ويعرف ما يجري حوله، ليقاوم واقعه المظلم ويدفعه بوعي للتحرّر من ظلم العدو، ونشد الحرية، والعيش بكرامة إنسانية، مثل بقية أطفال العالم.

الهامش:

(١) محمود شقير هو قاصّ، كاتب وأديب فلسطيني من مواليد جبل المكبر في القدس عام ١٩٤١. حصل على ليسانس فلسفة واجتماع من جامعة دمشق سنة ١٩٦٥. ابتداء الكتابة سنة ١٩٦٢ ونشر العديد من قصصه ومقالاته الأدبية والسياسية في صحف فلسطينية وعربية وأجنبية. إنه نائب رئيس رابطة الكتاب الأردنيين وعضو الهيئة الإدارية للرابطة لمدة عشر سنوات ١٩٨٧. عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين. عضو المجلس الوطني الفلسطيني. رئيس تحرير صحيفة الطليعة المقدسية الأسبوعية. مشرف عام مجلة دفاتر ثقافية الصادرة عن وزارة الثقافة الفلسطينية. حائز محمود شقير على جائزة "محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة" العام ١٩٩١ وجائزة محمود درويش للحرية والإبداع العام ٢٠١١ (ملا إبراهيم وفلاح، ١٣٩٩: ٧٤). له مؤلفات كثيرة في مجال القصة والنقد والأدب، من مؤلفاته الطفلية: أحلام الفتى النحيل (مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، ٢٠١٠)؛ أغنية الحمار (دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨)؛ أنا وجمانة (مركز أوغاريت، رام الله، ٢٠٠٠)؛ أنا وفطوم والريح والغيوم (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٣)؛ أولاد الحي العجيب (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٢)؛ بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد (مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، ٢٠١٢)؛ تجربة قاسية (الأونروا، القدس، ٢٠٠١)؛ الجندي واللعبة (دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦)؛ الحاجز (دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦)؛ الرّبّان (مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، ٢٠٠٣)؛ رحلة الحمار وقصص أخرى (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١١)؛ طيور على النافذة (الأونروا، القدس، ٢٠٠١)؛ عصفور سناء (دار البحيرة، رام الله، ٢٠١٤)؛ علاء في البيت الصغير (الأونروا، القدس، ٢٠٠٤)؛ قالت مريم... قال الفتى (اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٦)؛ قالت لنا الشجرة (مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، ٢٠٠٤)؛ القدس مدينتي الأولى (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٤)؛ قَطُوط في المدرسة وقصص أخرى (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٢)؛ كلام مريم (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٣)؛ كلب أبيض ذو بقعة بيضاء (مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، ٢٠٠٨)؛ كوكب بعيد لأختي الملكة (مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، ٢٠٠٧)؛ مريم وكنعان وقصص أخرى (منشورات الزيزفونة، رام الله، ٢٠١٤)؛ الملك الصغير (الأونروا، القدس، ٢٠٠٤)؛ مهنة الديك (مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، ١٩٩٩)؛ الولد الذي يكسر الزجاج (الأونروا، القدس، ٢٠٠١).

المصادر

- بن نوار، بهاء، (٢٠١٣)، «العجائبية في الرواية العربية المعاصرة»، رسالة دكتوراة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
- تنفو، محمد (٢٠١٠)، النص العجائبي، مائة ليلة وليلة أنموذجاً، دمشق، كيوان للطباعة والنشر.
- تودوروف، تزفتان (١٩٩٤)، مدخل إلى العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، القاهرة، دار الشقيقات.
- الحديدي، علي (١٩٨٢)، في أدب الأطفال، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
- الرويلي، ميجان (٢٠٠٢)، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- سالمي، نبيلة (٢٠١٤)، «العجائبية في رواية تماسخت دم النسيان لحبيب السايح»، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، الجزائر.
- السعيد، راندا حلمي (٢٠٢٠)، «توظيف الفانتازيا لتقليص الفجوة بين الواقع والمأمول في مسرح الطفل - حلم الأراجوز نموذجاً»، مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، مصر، ٧٧٥-٨١٤.
- شقيير، محمود (٢٠١٠)، أحلام الفتى النحيل، القدس، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.
- شقيير، محمود (٢٠١٨)، أنا وجمانة، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.
- شقيير، محمود (٢٠١٣)، كلام مريم، رام الله، الزيفونة لتنمية ثقافة الطفل.
- عبدالواحد، لؤلؤة (١٩٨٣)، موسوعة المصطلح النقدي، الرومانسية والمجاز الذهني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبيدالله، محمد (٢٠١٩)، تحولات القصة القصيرة في تجربة محمود شقيير، دار الأزمنة، عمان.
- علام، حسين (٢٠١٠)، العجائبي في الأدب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- ملاابراهيم، عزت و زهراء فاضلي (٢٠٢٠)، «تجليات المقاومة في أدب الطفل الفلسطيني (أعمال محمود شقيير نموذجاً)»، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد ٢٧، صص ٣١٧-٣٤٨.
- ملاابراهيم، عزت و منال فلاح (٢٠١٨)، أدب الطفل الفلسطيني، جامعة طهران، طهران.
- الهييتي، هادي نعمان (١٩٧٧)، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.
- Ben Nouar, Bahaa, (2013), "The Miraculous in the Contemporary Arab Novel," PhD thesis, Hajj Lakhdar University, Algeria.[In Persian].
- Tanfu, Muhammad (2010), the miraculous text, One Hundred and One Nights as a model, Damascus, Kiwan for printing and publishing.[In Persian].
- Todorov, Tzftan (1994), Introduction to the Wonders, translated by Al-Siddiq Boualem, Cairo, Dar Al-Sharqiyyat.[In Persian].
- Al-Hadidi, Ali (1982), in children's literature, Cairo, Anglo-Egyptian Bookshop, third edition.[In Persian].

- Al-Ruwaili, Megan (2002), *Literary Critic's Guide*, Casablanca, Arab Cultural Center.[In Persian].
- Salmi, Nabila (2014), "The miraculous in the novel *Tamasakht*, the blood of oblivion by Habib Al-Sayeh," Master's thesis, Mohamed Kheidar University, Algeria.[In Persian].
- Al-Saeed, Randa Helmy (2020), "Employing fantasy to reduce the gap between reality and hope in children's theater - the dream of Al-Arajouz as a model", *Journal of Research in the Fields of Specific Education*, Egypt, 775-814.[In Persian].
- Shukair, Mahmoud (2010), *Dreams of the Skinny Boy*, Jerusalem, Tamer Institute for Community Education.[In Persian].
- Shukair, Mahmoud (2018), *Jumana and I*, Amman, Al-Ahlia for Publishing and Distribution.
- Shukair, Mahmoud (2013), *Kalam Maryam*, Ramallah, Al-Zayzouna for the Development of Child Culture.[In Persian].
- Abdel Wahed, Louloua (1983), *Encyclopedia of Critical Term, Romance and Mental Metaphor*, Beirut, Arab Institute for Studies and Publishing.[In Persian].
- Obaidullah, Muhammad (2019), *Transformations of the Short Story in the Experience of Mahmoud Shuqair*, Dar Al-Azmana, Amman.[In Persian].
- Allam, Hussein (2010), *Wonders in Literature*, Arab House of Science Publishers, Beirut. [In Persian].
- Molla Ebrahimi, Ezzat and Zahraa Fazeli (2020), "Manifestations of Resistance in the Literature of the Palestinian Child (Mahmoud Shuqair's Works as an Example)", *Journal of the Arabic Department*, Punjab University Lahore, Pakistan, Issue 27, pp. 317-348.[In Persian].
- Molla Ebrahimi, Ezzat and Manal Falah (2018), *Palestinian Children's Literature*, University of Tehran, Tehran. [In Persian].
- Al-Hiti, Hadi Noman (1977), *Children's Literature: Its Philosophy, Arts, and Media*, Cairo, the General Book Authority.[In Persian].

ادبیات فانتزی کودک در فلسطین؛ بررسی رویکردها و جریان‌ها

(مورد مطالعه: رمانهای «أنا وجمانة»، «كلام مریم»، «أحلام الفتی النحیل» از محمود شقیر)

عزت ملا ابراهیمی^۱، زهراء فاضلی^۲

mebrahim@ut.ac.ir.

۱. نویسنده مسئول، گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران، تهران، ایران. رایانامه:

asemane139400@gmail.com.

۲. گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران، تهران، ایران. رایانامه:

چکیده

ادبیات کودک و نوجوان معاصر در فلسطین تحولات بسیاری را پشت سر نهاده و در مضمون و محتوا دستخوش تغییرات ملموسی شده است. چندانکه بر ضد الگوهای روایی سنتی و چارچوب‌های ثابت آن که مبتنی بر توصیفی تک صدایی و افراطی بود، شوریده و به رویکردهای روایی نوینی دست یافته است. در میان انبوه رمان‌های سنتی و درون‌مایه‌های تقلیدی، پدیده تصنعی بیشترین فضای روایی داستان‌های کودک فلسطین را به خود اختصاص داده است. راوی در رمان‌های فانتزی یا سحرآمیز، با خلق دنیایی موازی و متفاوت از واقعیت فراتر می‌رود، گاهی به مخالفت با آن برمی‌خیزد و واقعیت‌ها را به صورت رویدادهای شگفت‌انگیز و هیجان‌برانگیز به تصویر می‌کشد. محمود شقیر یکی از برجسته‌ترین نویسندگان رنالیست در عرصه ادبیات کودکان و نوجوانان است؛ به‌ویژه در زمانی که شرایط بحرانی سیاسی در جامعه فلسطین به اوج خود رسیده و منجر به غلبه مکتب رنالیسم در رمان‌نویسی شده بود. نوشته‌های محمود شقیر سرشار از واقع‌گرایی است که با ریشه‌یابی واقعیت‌ها، دغدغه‌ها و رنج‌های کودکان فلسطینی را به تصویر می‌کشد. برخی از داستان‌های او آکنده از خلاقیت و نوآوری است؛ مانند رمان‌های «أنا وجمانة»، «كلام مریم» و «أحلام الفتی النحیل» که در این پژوهش مورد بررسی قرار گرفته‌اند. گونه‌ای دیگر از داستان‌های رنالیستی شقیر، شامل رمان‌های سحرانگیز یا فانتزی می‌شود که نویسنده به دنبال تحریک و برانگیختن تخیل کودکان است و در روایی کودکانه برای عبور از مرزهای زمانی و مکانی تجسم می‌یابد. این پژوهش با تکیه بر روش توصیفی-تحلیلی به دنبال آشکار کردن مهم‌ترین جلوه‌های فانتزی در آثار محمود شقیر است. از یافته‌های تحقیق استنباط می‌شود که وی در درون‌مایه‌های داستانی خود واقعیت‌ها را وفادارانه به تصویر کشیده و آنها را به کودکان منتقل کرده است. در این میان برای انتقال واقعیت‌ها به کودکان از ابزارهای گوناگون روایی چون فانتزی بهره برده است که همین شاخصه، ساختار روایی شقیر را از دیگر نویسندگان عرصه کودک متمایز می‌سازد. چه، شقیر در داستان‌های خود به دنبال یافتن راهکارها و شیوه‌های نوینی برای تغییر واقعیت‌هاست که این خود مشخصه‌ای مثبت در ساخت روایی او به شمار می‌آید و با دیدگاه واقع‌گرایانه برای نقد واقعیت‌ها و تغییر آنها هماهنگی دارد.

واژه‌های کلیدی: فانتزی، محمود شقیر، واقع‌گرایی، ادبیات کودکان، فلسطین.